السيِّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).. قدوة وأُسوة



القدوة ُ اسم م َن اقتدى به ، إذا ف ُع َل مثل فعله تأسّيا ً ، وفلان ☐ قدوة ُ ، أي ي ُقتدى به . أمّا في معنى الأ ُسوة ُ ، فقالوا هي كالقدوة ، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره . وعليه ، فالاقتداء والتأسّي هو التبعيّة للم ُقتدى به والتسنّن بسنيّته من قول أو فعل عموما ً ، وهو المعنى الاصطلاحي أيضا ً . فالاقتداء هو طلب موافقة الآخر في فعله ، واتيّباع شخصية تنتمي إلى القيم نفسها التي يؤمن بها المقتدي ، وعادة ما يمثل شخص المقتد َى به قدرا ً من المثالية والرقي والسمو عند أتباعه ومحبيّيه . والقدوة تنطوي في داخلها على نوع من الحب والإعجاب اللذين يجعلان الم ُقتد َي يحاول أن يطبيّق كل ما يستطيع من أقوال الم ُقتد َى به وأفعاله . فمتى وجد الإنسان كمالاً معييّنا ً توجيّه نحوه وانجذب إليه وطلبه ، إيّلا أن وهذه التوجيّهات تخضع عند كل إنسان لقناعاته ورؤيته الخاصيّة للكمال ، حيث يختلف الناس في تحديد مصداق الكمال الذي يصبون إليه .

والإنسان، متى ما وجد ذلك الكمال متجسّداً في شخص معيسّن، مال نحوه مباشرة حتى يصير قدوته التي يتأسّى ويقتدي بها. فالقدوة هي ذلك الميزان الذي يقيس عليه الإنسان تصرّفاته، موضحاً له معالم الطريق الذي ينبغي عليه سلوكه، وما يتوجّب عليه فعله وتركه. والأهمّ من ذلك كلّه، إنّ وجود القدوة الحقّة في حياة الإنسان يتيح له إمكانية الوصول إلى الأهداف العالية، ويبعث في نفسه أملاً بأنّ هناك مَن استطاع الوصول قبله، فيشعل في قلبه حماسة تدفعه للاستمرار دوماً وعدم التوقّف، لأنّ حياة القدوة تمثّل له النموذج الأصحّ والأسلم ليجعل حياته وفقها، وتشكّل ميزاناً لكلّ أُموره وشؤونه.

إن من الخصائص الهام ق في شخصية السير دة فاطمة (عليها السلام) هي شخصيتها القيادية التي امتازت بها، والتي ظهرت في حركتها خلال حياتها عموما ً، لقد قامت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بدور القائد الحقيقي. هذه هي فاطمة الزهراء (عليها السلام)، إنها قائد بكل معنى الكلمة، ومثل رسول من الرسّ سُل، ومثلً هاد لعموم البشرية، فقد ظهرت الزهراء الطاهرة هذه البنت الشابه و وتجلّت بهذه الرسّ سُل، ومثل والحجم، وهذه هي المرأة في الإسلام... فاطمة الزهراء (عليها السلام) امرأة إسلامية، امرأة في أعلى مراتب المرأة المسلمة، أي إنها في حدود قائد. لكن هذه المرأة نفسها التي هي من حيث الفضائل والمناقب والحدود كان يمكنها أن تكون رسولاً هذه المرأة نفسها كانت أ ماً وكانت زوجة

وكانت ربيّة بيت. وقد ورد على لسان أصدق البشر وأكملهم محميّد (صلى ا□ عليه وآله وسلم)، ما يحديّد منزلتها من ا□ تعالى، ومنه أنيّها هبة إلهية، وحوراء إنسييّة، ومميّا رُورِي عنه (صلى ا□ عليه وآله وسلم) قوله: «يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء هذه الأُميّة، وسيّدة نساء المؤمنين».. فنعم القدوة الصالحة التي نحتذي بها وخاصيّة وقد عرسّفها رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله وسلم) بأنيّها امرأة غير كل النيّساء، إنيّها سيّدة الناس لما تحمله من صفات فريدة وجليلة.

سط ّرت السي ّ ِدة فاطمة (عليها السلام) حياة ً مليئة بالعظمة والجلال مع قصر مد ّ تها، فلا تكاد تط ّلع على موقف قامت به الزهراء (عليها السلام) دون أن ت ُدهشك عظمة نفسها ورفعة أخلاقها، فهي وإن عاشت حياة تشبه حياة الجميع من حيث أبعادها، فقد كانت بنتا ً وزوجة ً وأ ُم ّا ً ومبل ّ ِغة وكانت تقوم بالأعمال المنزلية... إ ّلا أن ّها (عليها السلام) انفردت وتمي ّزت بتحويل تلك الحياة إلى مظهر لعظمة لا مثيل لها مبي ّنة كيف يمكن لأي ّ إنسان أن يتحو ّل إلى عظيم في أبسط تفاصيل حياته وفي أخطرها، فهي التي لم تقبل أن تقد م ثوبها القديم لسائلة جاءتها، بل آثرتها على نفسها وأعطتها ثوب عرسها الجديد الذي كان هدي ّة من الرسول (صلى ا العليه وآله وسلم).

ويسأل الإمام علي " (عليه السلام) رسول ا | (صلى ا | عليه وآله وسلم) فيقول: «يا رسول ا | أي " أهلك أ حب " أ إليك؟ قال (صلى ا | عليه وآله وسلم): فاطمة بنت محم د « . ومن الواضح أن " ما ورد عن الرسول (صلى ا | عليه وآله وسلم) ليس من باب العاطفة، والعلاقة الرحمي الخاص ، بقدر ما هو توجيه للأ ُ م ت وتعريفها بالمقام الخاص للسي يدة الزهراء (عليها السلام) عند ا ا تعالى، ورسوله (صلى ا ا عليه وآله وسلم)، والدور الم ُلق َ م على عاتقها خلال حياة أبيها، والوظيفة التي ينبغي أن تقوم بها بعد وفاته (صلى ا | عليه وآله وسلم). وتكبر فاطمة وتشب " معها حب " أبيها لها، ويزداد حنانه عليها، وتبادله | فاطمة هذا الحب "، وتملأ قلبه بالعطف والرعاية فيسم "يها «أم " أبيها .

«أم "أبيها» كنية ما أعظمها! فهي تعب ّر عن عمق العلاقة الروحية بين المانح العظيم المقد "س، والممنوحة الطاهرة المطه ّرة بحكم التنزيه عن كل ّ رجس ودنس، هذه الكنية هتاف ملأ الكون بصداه، ونداء لكل ّ جيل يتدب ّر معناه، وتنبيه للأ ُم ّة بما ينبغي لها من توقير البتول وحفظ مقامها الشامخ في قلب الرسول (صلى ا عليه وآله وسلم). وكانت الزهراء (عليها السلام)، أحب ّ الناس إلى رسول ا وصلى ا عليه وآله وسلم)، وهي بهجة قلبه وبضعة منه، يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، ويغضبه ما يغضبها، ويبسطه ما يبسطها، وي ُؤذيه ما ي ُؤذيها، ويسر "ه ما يسر "ها .السي ّ ِدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قدوة وأ نُسوة تربوية واجتماعية وجهادية بكل ّ ما للكلمة من معنى. إن ّ السي ّ ِدة فاطمة الزهراء الزهراء الزهراء (عليها الزهراء (عليها النسلام) مارست أدوارا ً أ سرية واجتماعية وجهادية وسياسية استحقت أن ت ُمنح لقب قدوة ي عندى بها، وكانت كل ّ تلك الأبعاد حاضرة في حياتها حيث تجل ّت عظمتها الظاهرية من خلال تلك الأدوار، في التي جس ّدت إرادة الحق في الد " ُنيا بكل ّ أفعالها بدءا ً من حياتها الأ سرية وصولا ً إلى حياتها الجهادية.